الرؤية بين الإثبات والنفي

د. فيصل غازي مجهول
جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم الفلسفة

مقدمة :

شغل موضوع " رؤية الله " الباحثين ورجال الدين سواء في الدين الاسلامي او في غيره ، وما يعنينا من هذه المسألة هو آراء المفكرين المسلمين فيها ، فقد اختلفوا حول جواز رؤية الله في يوم القيامة او عدم جوازها ، الا قلة منهم كانوا يجوزون رؤيته في الدنيا ، ويمكن القول انهم انقسموا على فريقين كبيرين ، ذلك اذا ادخلنا موقف السلفيين في ضمن موقف القائلين بالرؤية ،ولكن الفرق كان في الادلة والبراهين ، ولكل من المعتزلة والاشاعرة ادلة عقلية ونقلية في اثبات رأيهم، وهناك من يرى ان مسألة الرؤية ليست الا خلافاً لغوياً محضاً بين الاشاعرة والمعتزلة، مثل عبد المجيد الصغير، فيقول: " ومسألة الرؤية لا تخرج عن كونها خلافاً لغوياً محضاً نشأ عن جهل الاشاعرة بمصطلحات المعتزلة .

فقد قال الاشاعرة انه لا علاقة بين مفهوم الرؤية ومفهوم الجسمية ، وليس من شروط الرؤية في عالم الغيب اقتضاء الجسمية ابداً[1] ، ويرى ان الاثنين (أي المعتزلة والاشاعرة) متفقتان على تأويل مفهوم الرؤية بحيث لا ينتج عنه تجسيم ، ويبدو ان عبد المجيد الصغيريحاول ان يجعل المصطلح اللغوي سبباً رئيساً في الخلاف وأرى ان الخلاف اكبر من فهم المصطلحات اللغوية او عدم فهمها، ولاشك ان هناك اتفاقاً بين المعتزلة والاشاعرة في كثير من الموضوعات، لكن ذلك يتحدد بحسب وجهة النظر الى المشكلة ، او بحسب مستوى النظر، فكلما

ابتعدنا رأينا تشابهاً ، وكلما اقتربنا وجدنا اختلافاً بين اصحاب المدرسة الواحدة ، كالاختلاف بين النظام والعلاف مثلاً ، ويبدو ان هناك من يحاول ان يجمع بين الفرق الاسلامية ويبسط الخلاف فيما بينها بدافع عملي ، وهو ان الوحدة انفع من التفرقة ، فنرى مثلاً الشيخ محمد عبدة في " رسالة التوحيد " لا يفصل القول في مسألة الرؤية ، بل يكتفي بذكر الذين قالوا بجوازها والذين انكروا جوازها ، وكان يعدها من الامور التي لا تستحق الخلاف " ، ولكن مني الاسلام بقوم يحبون الخلاف والله فوق ما يظنون "[٢] ، وفكرة رؤية الله او عدم رؤيته في الاخرة ، شئنا ام ابينا ، هي فكرة تطرحها فكرة وجود الله ، فاما ان يرى او لارى ولا ثالث لهما ، ما دام الانسان معتقداً بوجود الله .

لقد اختلفت فرق المسلمين في رؤية الله يوم القيامة، وكانوا على قولين: منهم من يقول برؤيته ومنهم من لايجوز رؤيته يوم القيامة ، اما في الدنيا فاتفقوا على انه لايرى فيها[٣] .

وجواز الرؤية هو قول جمهور المسلمين ، بدليل النقل والعقل ، " قالوا : يرى من غير تكيف بكيفية من الكيفيات المعتبرة في رؤية الاجسام ، ومن غير احاطة ، بل يحار العبد في العظمة والجلال، حتى لا يعرف اسمه ، كأن يشعر بمن حوله من الخلائق ، فان العقل يعجز هناك عن الفهم ، ويتلاشى الكل في جنب عظمة الله تعالى "[٤] .

وقد دافعت الاشاعرة عن رؤية الله يوم القيامة ، وكانت رد فعل على قول المعتزلة وغيرها بنفي الرؤية في الدارين ، وكانت مسألة الرؤية من المسائل التي شغلت المسلمين .

نفي الرؤية :

إن المعتزلة من اشهر الفرق التي قالت بنفي الرؤية ، فقد رفضوا جميع افكار التشبيه والتجسيم ، وحاولوا البرهنة على ابطال كل فكرة تهدد مبدأ التوحيد الذي امنوا به من خلال نظريتهم في نفي الصفات " وقد اتفق المعتزلة البصريون والبغداديون على مبدأ استحالة رؤية الله بالابصار في الدنيا الاخرة[٥] .

اما الرؤية في الدنيا فان المعتزلة رفضوها (كما رفضتها معظم الفرق الاسلامية) بحجة انها لو تحققت لتحقق الحلول والمجاورة، من خلال اتصال رؤيتنا لذات الله اتصالاً مادياً، ولكان الله في صورة مجسمة[٦] .

وايضاً لو جازت هذه الرؤية " لكان الله متحيزاً في مكان امام الرائي ، وتعالى الله ان يكون متحيزاً في مكان "[٧] ، وهكذا اسقط المعتزلة ادعاءات المجسمة والمشبهة في امكان الرؤية في الدنيا .

ولم يتوقف المعتزلة عند رفض فكرة الرؤية في الدنيا ، ولكنهم رفضوا فكرة رؤية الله في الاخرة التي جوزها الاشاعرة والسلفية وغيرهم ، وكان دليلهم العقلي هو" ان الرؤية تعني اتصال شعاع بين الرائي والمرئي ويشترط مثل هذا الاتصال تعين القوام المادي لها "[٨] .

وهذا الاتصال يهدد مبدأ التوحيد المحض " واذا افترضنا جواز رؤيته تعالى ، فسنراه قديماً ، عالماً ، قادراً ، حياً ، لان مثل هذه الصفات هي أخص أوصافه ، ومثل ذلك يستحيل ايضاً ، وعليه فان الله تعالى لا يرى في الاخرة ، كما لا يرى في الدنيا "[٩] .

اما برهان المعتزلة الشرعي فقد اعتمد قوله تعالى " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير "[١٠] ، فقد نفى الله عن نفسه البصر ومثل ذلك يعد مدحاً يعود الى ذاته تعالى ، واذا انتفى ذلك كان إثباته نقصاً ،

والنقائص لا تجوز عليه تعالى ابداً[١١] ، وسنلاحظ في الصفحات الآتية كيف رد ألا شاعرة على هذا الكلام وغيره من اقوال المعتزلة .

أما الآيات التي يثبت ظاهرها الرؤية فقد اولها المعتزلة بما يتفق ومنهجهم في التوحيد ونفي الصفات ، على الرغم من ان التأويل ليس حكرا على المعتزلة وحدهم ، لكنهم استعملوه بشكل موسع اكثر من غيرهم ، ومثال ذلك الاية التي خاطب فيها موسى ربه " رب ارني انظر اليك "[١٢] ، وقالوا بان هذا السؤال لم يكن سؤال موسى لربه ، بل كان سؤال قومه ، لقوله تعالى " يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء ، فقد سألوا موسى اكبر من ذلك ، فقالوا أرنا الله جهرة "[١٣] ، وقد تأكد ذلك بعد نزول الصاعقة " أتهلكنا بما فعل السفهاء منا "[١٤] ، فالسؤال لم يكن سؤالاً ذاتياً لموسى ، اما باضافة الرؤية لنفسه في سؤاله لربه ، فذلك لانه كان امام قومه، وكان مطالباً بالرد على مثل هذا السؤال ، فتوجه بالسؤال نيابة عن قومه الى ربه تعالى[١٥] . فلم يكن ذلك ذنبه وانما كان ذنب قومه .

وقد رفض المعتزلة ما تناقله اهل الحديث من احاديث رويت عن النبي تجيز الرؤية ، وحاولوا تجريح هؤلاء الرواة جميعاً " ذلك ان المعتزلة تزعم انها احاديث مروية عن طريق الاحاد، ومثل هذه الاحاديث لايمكن قبولها او الاخذ بها لان كل واحد من هؤلاء المخبرين يجوز عليه الغلط فيما يخبر فيه ، وربما يكون كاذباً[١٦] .

وان الطعن والتجريح بصحة الاحاديث المروية كان متبادلاً بين جميع الفرق التي خاضت في النقاش .

ونقرأ في كتاب القاضي عبد الجبار ، " شرح الأصول الخمسة " ، فصلاً في الرؤية ، لم يدع فيه دليلاً من الادلة على جواز الرؤية الا فنده ، ثم يأتي بأدلة

عقلية ونقلية تثبت استحالة الرؤية ، وسنقتطف منه بعضاً من هذه الادلة ، وفي البدء يرى القاضي عبد الجبار ان الكلام حول هذه المسألة مع المجسمة لغو ، لانهم يسلمون " ان الله تعالى لو لم يكن جسماً لما صح ان يرى ، ونحن نسلم [أي المعتزلة] لهم ان الله تعالى لو كان جسماً لصح ان يرى ، والكلام معهم في هذه المسالة لغو "[١٧] ، لكنه يرد على الاشاعرة ومن تابعهم ، الذين لهم – فيما ارى – منطلقات ومبادئ تختلف عن المجسمة .

يرى القاضي ان الاستدلال على هذه المسألة يمكن ان يكون بالعقل والسمع معاً[١٨] ، ويستشهد بالآية " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير "[١٩] . ويرى ان وجه الدلالة في هذه الاية " هو ما قد ثبت من ان الإدراك اذا قرن بالبصر لا يحتمل الا الرؤية وثبت انه تعالى نفى عن نفسه ادرك البصر "[٢٠] . ويورد معاني للادراك وهي : البلوغ ، والنضج ، والايناع[٢١] ، " فاما اذا قيد بالبصر فلا يحتمل الا الرؤية على ما ذكرناه ، وصار الحال فيه كالحال في السكون فانه اذا قرن بالنفس لايحتمل الا العلم ، وان احتمل باطلاقه شيئاً اخر "[٢٢] وينفي قول المنكرين بان المراد من قول الله: " لا تدركه الابصار " أي لا تحيط به الابصار ، لان " الاحاطه ليس هو بعنى الادراك لا في حقيقة اللغة ولا في مجازها ، الا ترى انهم يقولون السور احاط بالمدينة، ولا يقولون : ادركها او ادرك بها ، وكذلك يقولون : عين الميت احاطت بالكافور ولا يقولون ادركته . وبعد ، فان هذا تاويل بخلاف تاويل المفسرين ، فلا يقبل . على انه كما لا تحيط به الابصار فكذلك لا يحيط هو بالابصار ، لان المانع عن ذلك في الموضعين واحد فلا يجوز حمل الادراك المذكور في الاية على الاحاطة لهذه الوجوه "[٢٣]. وان الله " وان كان مبصراً ، فانما يرى ما تصح رؤيته ، ونفسه يستحيل ان ترى ... وما كان نفيه نفياً راجعاً الى ذاته فان اثباته نقصاً ، والنقص لايجوز على الله تعالى "[٢٤] ، ولايسلم القاضي بان النظر بمعنى الرؤية ، " كيف يعلم ان يكون

النظر بمعنى الرؤية ، ومعلوم انهم يقولون : نظرت الى الهلال فلم اره ، فلو كان أحدهما هو الآخر لتناقض الكلام ، ونزل منزلة قول القائل : رأيت الهلال وما رأيت ، وهذا مناقض فاسد "[٢٥] . ويورد بعد هذا حججاً لغوية كثيرة تدعم رأيه . وهو يرفض كذلك الدليل القائل ان النظر إذا علق بالوجه فلا يحتمل الرؤية[٢٦] . وتأويل الآية – كما يراه – هو ان النظر بمعنى الانتظار[٢٧]. والاية التي يقصدها هي " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ". ويقول : " على ان الى في الاية على ما قيل ، هو حرف الجر ولا حرف البعدية، وانما هو واحد الآلاء التي هي النعم ، فكانه تعالى قال : وجوه يومئذ ناظرة الاء ربها منتظرة ، ونعمة مترقبة "[٢٨] .

ولا يرى القاضي ان الانتظار يقتضي تنغيص العيش " وانما يوجب ذلك كان المنتظر لا يتعين وصول ما ينتظره اليه ، او يكون في جنس ولا يدري متى يتخلص من ذلك وهل يتخلص ام لا ، فانه والحال هذه يكون في غم وحسرة ، فاما اذا يتقين وصوله فلا يكون في غم وحسرة ، خاصة اذا كان في حال انتظاره في ارغد عيش واهناه "[٢٩] .

وكل تلك الادلة كانت سمعية، وله ادلة عقلية كثيرة ، منها دليل المقابلة ، وهو " ان الواحد منا راءٍ بحاسة، والرائي بالحاسة لا يرى الشيء الا اذا كان مقابلا او حالا في المقابل او في حكم المقابل ، وقد ثبت ان الله تعالى لا يجوز ان يكون مقابلا ، ولا حالا في المقابل ، ولا في حكم المقابل "[٣٠] .

ويستدل القائلون بالرؤية من الاية "كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " بان " الكفار يوم القيامة محجوبون عن رؤية الله ، وهذا يدل على ان المؤمنين لا يحجبون "[٣١] ، ويرى القاضي ان " هذا استدلال بدليل الخطاب، وذلك لا يعتمد في فروع الفقه فكيف في أصول الدين. وبعد ، فليس في ظاهر الاية ما يدل على ان الكفار يوم القيامة محجوبون عن رؤية الله ، لانه تعالى قال " كلا انهم عن ر بهم يومئذ لمحجوبون " ولم يقل عن رؤية ربهم. ومتى قالوا : المراد بقوله عن ربهم،

عن رؤية ربهم ، قلنا : ليس كذلك ، بل المراد عن ثواب ربهم ، لانكم اذا عدلتم عن الظاهر فلستم بالتاويل اولى منا ، فنحمله على وجه يوافق دلالة العقل "[٣٢] .

أما إجماع الصحابة على إن الله يرى ، فان القاضي يرى انه لايمكن ادعاء اجماع الصحابة على ذلك[٣٣] . ويرجع الى حديث عن عائشة ، ويحيل الى خطب امير المؤمنين التي تنفي الرؤية[٣٤] .

اما حديث الرسول " سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر" فله ثلاثة طرق في الجواب عنه :

١. " ان هذا الخبر يتضمن الجبر والتشبيه "[٣٥] .

٢. وان هذا الخبر يروى عن " قيس بن ابي حازم ، عن جرير بن عبد الله البجلي، عن النبي "[٣٦]، وقيس هذا لايمكن الاحتجاج بقوله لاسباب يذكرها القاضي[٣٧] .

٣. " ان صح هذا الخبر وسلم ، فاكبر ما فيه ان يكون خبرا من اخبار الآحاد ، وخبر الواحد مما لايقتضي العلم، ومسألتنا طريقها القطع والثبات..."[٣٨] ، وان هذا الخبر معارض باخبار رويت[٣٩] .

وفي نهاية الفصل يقول القاضي : " اعلم ان من خالفنا في هذه المسالة لا يخلو حاله من احد امرين، اما ان يحقق الرؤية فنقول: ان الله تعالى يرى مقابلا لنا او حالا في المقابل او في حكم المقابل ، او لا يحقق فيقول : انه تعالى يرى بلاكيف. فمن ذهب الى المذهب الاول فانه يكون كافرا لانه جاهل بالله تعالى، والجهل بالله كفر . والدليل على ذلك اجماع الامة ، واجماع الامة حجة . ومن قال انه تعالى يرى بلا كيف فلا يكفر ، لان التفكير انما يعرف شرعا ، ولا دلالة من جهة الشرع يدل على ذلك ..."[٤٠] .

اعتقاد اهل السنة والجماعة :

لقد اجمع اهل السنة على رؤية الله يوم القيامة " وقالوا بجواز رؤيته في كل حال ولكل حي من طريق العقل ، ووجوب رؤيته للمؤمنين خاصة في الاخرة من طريق الخبر، وهذا خلاف قول من احال رؤيته من القدرية والجهمية، وخلاف قول من زعم انه يرى في الآخرة بحاسة سادسة، كما ذهب اليه ضرار بن عمرو، وخلاف من زعم ان الكفرة يرونه كما قال ابن سالم البصري "[٤١] .

أما دليلهم من المنقول فهو :

١. قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " .

٢. قوله تعالى : " للذين احسنوا الحسنى وزيادة " .

" والحسنى : الجنة ، والزيادة : الرؤية كما ثبت بالحديث الصحيح الذي راوه مسلم "[٤٢] .

٣. قول الله لموسى : " لن تراني " والاستدلال بها على الرؤية من وجوه :

أ. " انه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، واعلم الناس بربه في وقته، ان يسأل ما لايجوز عليه ، بل هو من اعظم المحال ، اذ لايجوز على احد الانبياء الجهل بشيء من احكام الالوهية "[٤٣] .

ب. " وقال تعالى (لن تراني) ، ولم يقل : اني لا ارى ، او لاتجوز رؤيتي ، او لست بمرئي "[٤٤] . وهذا يدل على ان الله مرئي ، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤية الله في هذه الدار- أي الدنيا[٤٥]، لضعف قوى البشر عن رؤيته، يوضحه قوله تعالى: " ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني "[٤٦] ، فاعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من الضعف "[٤٧] .

٤. قوله تعالى : " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار "[٤٨] .

" ووجه الاستدلال بها : ان الله تعالى انما ذكرها في سياق التمدح ، ومعلوم ان المدح انما يكون بالصفات الثبوتية ، ويكون بالنفي اذا تضمن امراً وجودياً .... "[٤٩] .

٥. حديث ابي هريرة (وهو حديث متفق عليه): " ان الناس قالوا يارسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا : لا يارسول الله . قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله . قال فانكم ترونه كذلك "[٥٠].

٦. حديث صهيب الصحيح . " قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية : (للذين احسنوا الحسنى وزيادة)[٥١] قال : اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار، نادى منادٍ : يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعداً ، يريد ان ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ الم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة ، ويجرنا من النار ؟ قال : فيكشف لهم الحجاب ، فينظرون اليه ، ، قال : فو الله ما اعطاهم شيئاً احب اليهم من النظر اليه ، ولا اقر باعينهم "[٥٢].

واعتمدوا كذلك على اجماع الصحابة والتابعين على رؤية الله في الاخرة، واما دليلهم المعقول فهو :

أ. " ان الله تعالى موجود ، وكل موجود يصح ان يرى ، فالباري عز وجل يصح ان يرى .

ب. كما جاز ان يعلم الباري عز وجل من غير كيفية وصورة ، جاز ان يرى من غير كيفية وصورة "[٥٣] .

ويردد الاسفراييني مثل هذه الحجى قائلاً : " وان تعلم ان القديم سبحانه يرى وتجوز رؤيته بالأبصار ، لان مالا تصح رؤيته لم يتقرر وجوده كالمعدوم ، وكل ما صح وجوده جازت رؤيته كسائر الموجودات "[٥٤] .

ولا يقر السلفيون دائماً بتأويلات المعتزلة وغيرهم ويرونها متطرفة ، يقول الدارمي : " والقرآن عربي مبين ، تصرف معانيه الى اشهر ما تعرفه العرب في لغاتها ، واعمها عندهم ، فان تأول متأول ... في شيء منه خصوصاً ، او صرفه الى معنى بعيد عن العموم بلا اثر ، فعليه البينة على دعواه "[٥٥] .

فالدارمي مثلا لا يوافق المريسي في تأويله للحديث الدال على الرؤية ثم انتدب المريسي الضال لرد ما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الرؤية في قوله : " سترون ربكم يوم القيامة لا تضامون في رؤيته كما لاتضامون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ". فاقر الجاهل بالحديث وصححه، وثبت روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم تلطف لرده وأبطاله بأقبح تأويل واسمج تفسير، ولو قد رد الحديث اصلاً كان اعذر له من تفاسيره هذه المقلوبة ، التي لا يوافقه عليها احد من اهل العلم ، ولا من اهل العربية ، فادعى الجاهل ان تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (سترون ربكم لا تضامون في رؤيته) تعلمون ان لكم رباً لاتشكون فيه كما لاتشكون في القمر انه قمر، لاعلى ان ابصار المؤمنين تدركه جهرة يوم القيامة ، لانه نفى ذلك عن نفسه بقوله (لا تدركه الابصار) ...[٥٦] ويرى الدارمي ان الشك في ربوبية الله زائل عن المؤمن والكافر يوم القيامة " فكل مؤمن وكافر يومئذ يعلم انه ربهم ، لا يعتريهم في ذلك شك : فيقبل الله ذلك من المؤمنين ولا يقبله من الكافرين ، ولا يعذرهم بمعرفتهم ويقينهم به في ذلك اليوم فما فضل المؤمن على الكافر يوم القيامة عندك في معرفة الرب ؟ اذ مؤمنهم وكافرهم لا يعتريه في ربوبيته شك "[٥٧] ، واما معنى قوله (لا تدركه الابصار) فالمقصود منه – كما يرى الدارمي – في الحياة الدنيا .

موقف الاشاعرة :

اقتربت الاشاعرة في كثير من نظرياتها من المذاهب السلفية، او انهم كانوا توفيقيين . اما في مسالة رؤية الله في الاخرة فهم ياخذون بظاهر النص ويقرون رؤية الله في الاخرة ، وينفون كل ما جاءت به المعتزلة من ادلة ترفض بها الرؤية . ونجد ذلك مفصلا في كتابي ابي الحسن الاشعري " الابانة عن اصول الديانة " ، " واللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع " ، تحت عنوان (باب الكلام في اثبات رؤية الله تعالى في الاخرة). فيقول الاشعري ان النظر لا يخلو من وجوه نحن ذاكروها[٥٨] . " اما ان يكون الله عز وجل عنى نظر الاعتبار لقوله تعالى (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) ، او يكون نظر الانتظار لقوله (ما ينظرون الا صيحة واحدة) او يكون على نظر الرؤية "[٥٩] . ويرى الاشعري انه لا يجوز ان يكون الله قد عنى نظر الانتظار " لان النظر اذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه كما اذا ذكر اهل اللسان نظر القلب فقالوا انظر في هذا الامر بقلبك لم يكن معناه نظر العينين ولذلك اذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار الذي بالقلب وأيضا فان نظر الانتظار لا يكون في الجنة لان الانتظار معه تنغيص وتكدير واهل الجنة لهم في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت في العيش السليم والنعيم المقيم واذا كان هذا هكذا لم يجز ان يكونوا منتظرين لانهم كلما خطر ببالهم شيء اتوا به مع خطوره ببالهم واذا كان ذلك كذلك فلا يجوز ان يكون الله عز وجل اراد نظر التعطف لان الخلق لا يجوز ان يتعطفوا على خالقهم واذا فسدت الاقسام الثلاثة صح القسم الرابع من اقسام النظر وهو ان معنى قوله الى ربها ناظرة انها رائية ترى ربها عز وجل "[٦٠] .

ويذكر الاشعري هذه الادلة على رؤية الله بالابصار في كتابه اللمع[٦١] . وهكذا ابطل الاشعري قول المعتزلة الذين ارادوا بقول الله "ناظرة " نظر الانتظار،

ويقول ان الانتظار لا يقرن عند العرب بـ " الى " ، " الا ترى ان الله عز وجل لما قال ما ينظرون الا صيحة واحدة لم يقل الى اذ كان معناه الانتظار "[٦٢]. ويستشهد لاثبات رايه ببيت شعر لامرئ القيس . ويرى الاشعري ان " القران على ظاهره وليس لنا ان نزيله عن ظاهره الا لحجه والا فهو على ظاهره الا ترى ان الله عز وجل لما قال صلوا لي واعبدوني لم يجز ان يقول قائل انه اراد غيره ويزيل الكلام عن ظاهره فلذلك حجه . ثم يقال للمعتزلة ان جاز لكم ان تزعموا ان قول الله عز وجل الى ربها ناظرة انما اراد به الى غيرها ناظرة فلم ما جاز لغيركم ان يقول ان قول الله عز وجل لا تدركه الابصار اراد بها لا تدرك غيره لم يرد انها لا تدركه ؟ وهذا ما لا يقدرون على الفرق فيه "[٦٣] .

ويشير الاشعري هنا الى مشكلة من المشكلات المهمة في علم الكلام، الا وهي التأويل، فيحاول ان يحدد شروطاً للتاويل كي لا تؤول جميع ايات القران ، وبعدئذ نرى ان شروط التاويل تتخذ اشكالا دقيقة كما عند الغزالي .

ويبدو ان كلام موسى مع الله قد استند اليه كلا الفريقين المتخاصمين في اثبات رأيهم. ويستند ظاهر الاية قول المعتزلة ، لكن الاشاعرة افادوا من الاية في اثبات رايهم بعد تفسيرها لصالحهم. " ولا يجوز لموسى وهو نبي عصمه الله بما عصم به المرسلين ان يسأل ربه بما يستحيل عليه "[٦٤] ، ولو اراد الله تبعيد الرؤية " لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه ولم يقرنه بما يجوز وقوعه فلما قرنه باستقرار الجبل وذلك امر مقدور لله سبحانه دل ذلك على انه جائز ان يرى الله عز وجل "[٦٥] .

ويرجح الاشعري ان معنى " لا تدركه الابصار " في الدنيا وليس في الاخرة،او ان ابصار الكافرين لا تدركه وليس المؤمنين " ذلك ان كتاب الله يصدق بعضه بعضاً فلما قال في اية (وجوده يومئذ ...) وقال في اية اخرى (لا تدركه الابصار) علمنا انه انما اراد ابصار الكافرين لا تدركه "[٦٦] .

ويستشهد بدليل اخر هو الحديث النبوي " ترون ربكم ... " .

ومما يدل على رؤيته ايضا دليل عقلي وليس نقلياً " انه ليس موجود الا وجائز ان يريناه الله عز وجل وانما لا يجوز ان يرى المعدوم فلما كان الله عز وجل موجوداً مثبتاً كان غير مستحيل ان يرينا نفسه عز وجل "[٦٧] ، ويرى الاشعري ان ابات رؤية الله ليس فيه تشبيه الباري ولا تجنيسه ولا قلبه عن حقيقته ، وليس في الرؤية تجويره ولا تظليمه ولا تكذبه[٦٨]، وللباقلاني في كتابه " التمهيد " ادلة الاشعري نفسها، تقريباً، في اثبات الرؤية[٦٩].

ومن حججه على الرؤية ان الله موجود " والشيء انما يصح ان يرى من حيث كان موجوداً ، اذا كان لا يرى لجنسه ، لانا لا نرى الاجناس المختلفة ، ولا يرى لحدوثه ، اذ قد نرى الشيء في حال لايصح ان يحدث فيها ، ولا لحدوث معنى فيه ، اذ قد ترى الاعراض التي لا تحدث فيها المعاني "[٧٠] .

اما دليله على جواز الرؤية من جهة القرآن، فهو قول موسى: " رب ارني انظر اليك "، ويقول : " فلو كانت الرؤية تستحيل عليه كما قالت المعتزلة ، كما يستحيل ان يكون محدثاً مربوباً وعبداً مخلوقاً ، لاستحال على نبيه وامينه على وحيه ومن جعله واسطة بينه وبين خلقه ومتحملاً لرسالته ان يسأله المستحيل في صفته ، كما يستحيل ان يقول له " رب كن عبداً مربوباً ومألوها مخلوقاً ، لان ذلك اجمع استخفاف بالله سبحانه ، سواء سأله السائل لنفسه او سأله لغيره .

وليس يجوز على الانبياء الاستخفاف بربهم ، ولا ان يكون اسلاف المعتزلة واخلافها اعلم من الرسل بما يجوز على الله تعالى وما يستحيل في صفته ، فدل ما وصفناه على صحة رؤيته "[٧١] .

ويستشهد بالاية " وجوه ومنذ ناضرة الى ربها ناظرة " على جواز الرؤية

قائلاً : " والنظر في كلام العرب ، اذا قرن بالوجه ، ولم يضف الوجه الذي قرن بذكره الى قبيلة ولا عشيرة ، وعدي بحرف الجر ، ولم يعد الى مفعولين ، فالمراد به النظر بالبصر لا غير ذلك "[٧٢] .

ويخصص الباقلاني كلاماً كثيراً عن " التمدح " ، عندما يفسر الاية " لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار " ، ويرى ان الله قد تمدح بقوله " وهو يدرك الابصار " ولم يتمدح باستحالة ادراكه بالابصار[٧٣] .

وهو كذلك يفصل القول في وجوه تفسير الاية التي خاطب بها موسى ربه ، ولا تخرج تفسيراته عن تفسيرات الاشعري ، وباختصار يرى الباقلاني ان كل شي ء جائز في قدرة الله[٧٤] .

الخاتمة :

إن موضوع رؤية الله جزء لا يتجزأ من الدين الأسلامي أو غيره من الأديان القريبة . إن الرؤية أمنية يتمناها المؤمنون. وقد اختلف المسلمون كما اختلف غيرهم في مسألة الرؤية، بين منكر ومثبت ، واختلق الإثبات أيضاً، فليست الدنيا كالآخرة ، وليس النظر والرؤية واحداً .

ولا أريد هنا أن أرجح رأياً على رأي ، لا لغموض المسألة ، بل لأختلاف الهدف . فقد اعتمد المتخاصمون أدلة عقلية ونقلية ، ولكل منطلقه وهدفه .

أما جواز الرؤية فهو أمنية من الأمنيات ، وما أراد كثير من المسلمين أن يحرموا الناس منها ، وبخاصة إذا كان لها سند من القرآن والسنة. فما أرادوا أن يضيقوا على الناس، حيث لا ينبغي التضييق ، ولم يخشوا أن يقعوا في التشبيه أو التجسيم . أما الكيفية فهي تخص المختصين فقط ، لأن الناس عادة ما لا يسألون عن الكيفية ، ويكفيهم أنهم سيرونه . وهذا ما تبناه الأشاعرة .

أما المعتزلة فقد رفضوا الرؤية من باب رفض التشبيه والتجسيم ، فكان هدفهم أن يخلصوا الدين من التشبيه والتجسيم ؛ لذا رفضوا الرؤية في الدنيا والآخرة .

وقد منعها المعتزلة في الدنيا والآخرة منعاً للتشبيه أينما كان . وإستندوا الى آيات وأحاديث نبوية في هذا الشأن . وأستعملوا التأويل كلما ضاقت بهم السبل ، وبرعوا في الرد على خصومهم .

أما أهل السنة والجماعة فقد أجمعوا على جواز رؤيته في الآخرة . واستدلوا على ذلك بأدلة نقلية وعقلية ، ودليلهم العقلي هو أن الله موجود ، وكل موجود يصح أن يرى .

ولم تقر السلفية بتأويلات المعتزلة . وإذا كانت الأشاعرة قد أقتربت من

السلفية ، فإنها الى التوسط أقرب . وقد أخذت بظاهر النص ورفضت كل ما جاءت به المعتزلة .

وإذا تساءلنا عن أهمية هذا الموضوع وإمكان الوصول فيه الى حل يقنع المختلفين، لما وجدنا ذلك ممكناً . لسبب ، هو أن الناس ، وحتى النفكرين منهم ، مختلفون في فهمهم للأشياء وفي تصوراتهم . وهذه واحدة من المسائل التي لا يمكن حسمها ما دامت تعتمد الأعتقاد من جانب ، وتعتمد اللغة وما فيها من إمكانات من جانب آخر . وإذا نظرنا إليها من زاوية الأهمية ، فإنها قد تكون مهمة جداً عند من يعتقد بأن الرؤية حقيقية ؛ ذلك أن هذه الرؤية أمل عندهم وحلم وأمنية ، وقد تكون هي كذلك عند غيرهم ، لكن الكيفية مختلفة ، ففرق كبير بين الرؤية الحقيقية والرؤية المجازية .

الهوامش :

١. الصغير ، عبد المجيد : ملاحظات حول اشكالية المصطلح اللغوي في الخلاف الكلامي ، مجلة المناظرة ، السنة الاولى ، العدد الاول ، (١٩٨٩) .

٢. الشيخ محمد عبدة : رسالة التوحيد، دار المنار – مصر (ط١٥) ١٣٧٢ هـ ، ص ٢٠٤ .

٣. رشدي عليان ، وقحطان الدوري : اصول الدين الالامي ، ص١٧٩ .

٤. المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

٥. الراوي ، عبد الستار : ثورة العقل ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام (١٩٨٢) ، ص ٢٥٤ .

٦. المصدر نفسه ، ص٢٥٤ .

٧. المصدر نفسه ، ص ٢٥٤ .

٨. المصدر نفسه ، ص ٢٥٤ و ص ٢٥٥ .

٩. المصدر نفسه ، ص ٢٥٥ .

١٠. سورة الانعام : ١٠٣ .

١١. الراوي ، عبد الستار : ثورة العقل ، ص٢٥٤ .

١٢. الاعراف : ١٤٣ .

١٣. النساء : ١٥٣ .

١٤. الاعراف : ١٥٥ .

١٥. الراوي : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

١٦. المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .

١٧. القاضي عبد الجبار بن احمد : شرح الاصول الخمسة ، مكتبة وهبة (ط١) ١٩٦٥ ، ص ٢٣٢ ، و ص ٢٣٣ .

١٨. المصدر نفسه ، ص ٢٣٣ .

١٩. الانعام : ١٠٣ .

٢٠. القاضي عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ، ص ٢٣٣ .

٢١. المصدر نفسه ، ص ٢٣٤ .

٢٢. المصدر نفسه ، ص ٢٣٤ .

٢٣. المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ و ص ٢٤٠ .

٢٤. المصدر نفسه ، ص ٢٤١ .

٢٥. المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ .

٢٦. المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ .

٢٧. المصدر نفسه ، ص ٢٤٥ .

٢٨. المصدر نفسه ، ص ٢٤٥ .

٢٩. المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ .

٣٠. المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ .

٣١. المصدر نفسه ، ص ٢٦٧ .

٣٢. المصدر نفسه ، ص ٢٦٧ .

٣٣. المصدر نفسه ، ص ٢٦٧ .

٣٤. المصدر نفسه ، ص ٢٦٨ .

٣٥. المصدر نفسه ، ص ٢٦٨ .

٣٦. المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ .

٣٧. المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .

٣٨. المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ .

٣٩. المصدر نفسه ، ص ٢٦٩

٤٠. المصدر نفسه ، ص ٢٧٦ و ص ٢٧٧ .

٤١. البغدادي ، عبد القاهر : الفرق بين الفرق ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ، ميدان الازهر بمصر ، ص ٣٣٥ و ص ٣٣٦ .

٤٢. رشدي عليان وقحطان الدوري : اصول الدين الاسلامي ، ص ١٧٣ .

٤٣. المصدر نفسه ، ص ١٧٣ .

٤٤. المصدر نفسه ، ص ١٧٣ .

٤٥. المصدر نفسه ، ص ١٧٣ و ص ١٧٤ .

٤٦. الاعراف : ١٣٤ .

٤٧. رشدي عليان وقحطان الدوري : المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

٤٨. الانعام : ١٠٣ .

٤٩. رشدي عليان وقحطان الدوري : المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

٥٠. المصدر نفسه ، ص ١٧٥ .

٥١. يونس : ٢٦ .

٥٢. رشدي عليان وقحطان الدوري : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

٥٣. المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

٥٤. الاسفراييني، ابو المظفر: التبصير في الدين ، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد (١٩٥٥) ، ص ١٣٨ .

٥٥. عقائد السلف – كتاب " رد الامام الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي العنيد ، المعارف – جلال حزي وشركاه – (١٩٧١) ، ص ٤١٣ .

٥٦. المصدر نفسه ، ص ٤١٣ .

٥٧. المصدر نفسه ، ص ٤١٣ .

٥٨. الاشعري، ابو الحسن : الابانة عن اصول الديانة ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، ص١٢ .

٥٩. المصدر نفسه ، ص ١٢.

٦٠. المصدر نفسه ، ص ١٢.

٦١. الاشعري ، ابو الحسن : اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع ، مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد (١٩٥٥) ، ص٦٣ و ٦٤ و ٦٥ .

٦٢. الاشعري : الابانة عن اصول الديانة ، ص ١٣ .

٦٣. المصدر نفسه ، ص ١٣.

٦٤. المصدر نفسه ، ص ١٣.

٦٥. المصدر نفسه ، ص ١٤٥.

٦٦. المصدر نفسه ، ص ١٥ .

٦٧. المصدر نفسه ، ص ١٦ .